

حكاية الكسلان والمارد

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ. إسماعيل دياب
إشراف : أ. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة

ويُحْكَى أَيضًا أَنَّ (الْكسْلانَ) بعدَ أَنْ صارَ ثريًا ببركَةِ هذا الْقردِ الْـميْمونِ ، الذى اشتراه له الشيخُ (المظَفَّرُ) بخمسةِ دراهمَ ، قد قرّرَ أخيرًا أنْ ينزعَ عنهُ الكسلَ ، وأنْ ينزلَ إلى السُّوقِ ليتاجرَ مثلَ بقيَّةِ التجَّارِ ، فيبيعَ ويشترى ويربحَ ..

لقدْ فتحَ (الكسْلانُ) دكَّانًا فى سوقِ (الْبصرةِ) وصارَ من التجَّارِ المعْدودين .. ولمْ يكُنِ القردُ يفارقُه أبدًا ، فإذا أكلَ يأكُلُ معهُ ، وإذا شربَ يشربُ معهُ ، وإذا نامَ ينامُ بجوارِه ..

وتوسَّعَ (الكسلانُ) فى تجارتِه ، فاشترى الدُّورَ والقُصورَ ، وغرسَ الْبساتينَ ، وصارَ له خدمٌ وعبيدٌ وجوارٍ ..

وذاتَ يومٍ كانَ (الكسلانُ) جالسًا أمامَ دُكَّانه ، والقردُ جالسٌ بجوارِه ، وفجأةً أخذَ الْقردُ يتلفَّتُ يمينًا ويسارًا ، ثم نظرَ إلى (الكسلانِ) وقالَ :

ـ يا (أبا مُحمدٍ يا كسْلانُ) ؟

ففزعَ (الكسْلانُ) فزعًا شديدًا منْ كلامِ الْقردِ وقالَ :

ـ قردٌ يتكلَّمُ ؟!



وقالَ له القردُ ليُطمْئنهُ :

ـ لا تفزَعْ يا صاحِ ، فأنا فى الْحَقيقةِ لسْتُ قردًا ، كما تظُنُّ ، وإنما أنا ماردٌ ، وقد جئتُكَ فى صورةِ قردٍ حتى أُغْنِيَكَ ، وقدْ صارَ لديْكَ الْيومَ أمْوالٌ كثيرةٌ ، وصرْتَ غنيًا بفضلِ اللَّهِ ، وآنَ لكَ أنْ تكونَ لكَ زوْجَةٌ وأَولادٌ ..

فقالَ (الكسلانُ) :

ـ ومنْ هى الفتاةُ ، التى ترْضَى بالزَّواجِ منِّى ؟!

وقال القردُ :

ـ أنا أزوِّجُكَ بفتاةٍ مثلِ الْبَدْرِ ..

وقال (الكسلانُ) :

ـ ومنْ تكونُ هذه الْفتاةُ ؟!

فقالَ القردُ :

ـ ابنةُ كَبيرِ التُّجَّارِ .. غداً ترْتدى أَغْلى ثيابِكَ ، وتركَبُ جَوادَكَ وتتَّجهَ إلى كَبيرِ التجَّارِ فى دُكَّانه ، وتقولُ له إنَكَ جئْتَ خاطبًا لابْنَتـه ، وإنْ قالَ لك أنكَ فقيرٌ وليسَ لديك مالٌ ، فقدِّم له ألفَ دينارٍ ذهبًا ..

فسمعَ (الكسلانُ) نصيحةَ الْقردِ ، وفى اليومِ التالى ارْتَدى أَفْخرَ ثيابه ، وركبَ جوادَهُ ، واتَّجه إلى دكَّان كبيرِ التجَّارِ ، فخطَبَ منهُ ابْنتَهُ ، وقدَّمَ له ألفَ دينارٍ مَهْرًا ، فقالَ له كَبيرُ التجَّار :

ـ لا أقْبلُ مهرًا لابنتى أقلَّ منْ خمسةَ آلافِ دينارٍ ذهبًا ..

فقالَ لهُ (الكسلانُ) :

ـ حبًّا وكَرامةً ..



وقدَّمَ له الخمسةَ آلافِ دينارٍ التى طلبها لابْنَتِه ، وقالَ كبيرُ التجارِ :

ـ الآنَ أكتُبُ عَقْدَ قرانِكَ على ابْنَتِى ، وأَزُفُّها إليْكَ بعدَ عشْرَةِ أيامٍ ..

ولمَّا تمَّ عَقْدُ قِرانِ (الكسلانِ) على ابْنَةِ كبيرِ التجَّارِ ، عادَ سعيداً إلى القْردِ وحكَى لَه ما حدثَ ، فقالَ القردُ :

ـ هناكَ أمرٌ مُهِمٌ يجبُ أنْ تقومَ به قبْلَ أنْ يتمَّ زِفافُها إلَيْكَ ..

فقالَ (الكسلانُ) :

ـ وما هذا الأمرُ المُهمّ ؟!

وبدأ القردُ يشرحُ له قائلاً :

فى صدرِ القاعةِ ـ التى سيتمّ زفافُك فيها ـ توجدُ خزانةٌ كَبيرةٌ على بابها حلقةٌ من نُحاسٍ ، ارفعْ هذه الْحلقةَ تجدْ مفاتيحَ الْخزانة تحْتَها ، فخُذ المفاتيح وافتحِ الخزانَة ، تجدْ صُندوقًا من حَديد على أرْكانه أربعُ راياتٍ منقوش عليها طَلاسمُ .. وفى وسطِ الْخزانَة طشْتٌ ملىءٌ بالماء يقفُ فى وسَطه ديكٌ أَبْيض ، وفى اركانِ الطَّشْت ترى إحْدى عشْرةَ حيَّةً ، وهناكَ سكّينٌ معلّقٌ بجوارِ الصنْدوق ، فخُذْهُ ، واذْبحِ الدِّيكَ ، ثم مَزّقِ الرايات ، واقْلبِ الصُّندوقَ تعشِ العُمرَ كلَّهُ سعيدًا مع زوجَتك ..

وفى الْموعدِ الْمحدّد توجَّه (الْكسْلانُ) إلى الْخزانةِ ، ونفَّذَ كُلَّ ما طلبهُ منهُ الْقردُ ، وما إنْ ذبحَ الدِّيكَ ، ومزّقَ الطّلاسمَ ، حتى صاحت الْعروسُ :

ـ لا حوْلَ ولا قوّةَ إلاَّ باللّه العلىّ الْعظيم .. سيأْخُذنى الْماردُ ..



ولم تكد الْفتاةُ تتمُّ كلامها ، حتى تحوّل القردُ إلى ماردٍ جبّارٍ ، وخطف الْعروس وطار بها . .

وأقْبل كبيرُ التجّار يبْكى وقال مُخاطبًا (الْكسْلان) :

ـ ما هذا الذى فعلْتهُ ؟! لقدْ كنْتَ السّببَ فى ضياعِ ابْنتى . .

فقال (الْكسْلانُ) :

ـ لقدْ نصحنى القردُ أنْ أفْعل ذلك ، حتّى أعيش سعيدًا مع زوْجتى . .

فقالَ كبيرُ التجارِ :

ـ لقدْ صنعتُ هذا الطِّلَسمَ حتى أحمىَ ابْنتى من ذلكَ الْـمارِدِ الْـمَلْعُونِ ، لأنُه كانَ يُريدُ خطْفَ ابْنتِى مُنذُ ستِّ سنواتٍ ..

فلمَّا سَمِعَ (الكسلانُ) ذلكَ حزِنَ حزْنا شديداً ، وعلِمَ أنَّ القردَ قدْ خدعَهُ ، خرجَ هائماً على وجْههِ ، وهو لا يدْرِى إلى أيْنَ يذهبُ وماذا يفْعلُ ..

وظلَّ سائراً عِدَّةَ أيامٍ ، حتى وجدَ نفْسهُ أخيراً فى صحْراءَ جرْداءَ ، بلا طعامٍ ولا ماءٍ ..

وبينما هوَ سائرٌ فى الصَّحراءِ ذاتَ مساءٍ رأَى حيَّةً سوْداءَ تُطارِدُ حيَّةً بيْضاءَ ، حتى أمسكَتْ بها وكادتْ تقْتُلُها ، فأشْفقَ (الكسلانُ) على الحيَّةِ البيْضاءِ ، وأمْسكَ حجراً وضربَ به الحيَّةَ السوْداءَ فقتلَها ، واختفتِ الحيَّةُ البيضاءُ فى الْحالِ ، ثم عادتْ بعدَ قليلٍ ومعها عشرُ حيَّاتٍ بيضٍ فقطعُوا الحيةَ السوداءَ قطعاً صغيرةً ، ثم اختفَوا ..

وجلسَ (الكسلانُ) منْ شدَّةِ التعبِ يفكِّرُ فيما حدثَ ، فغلبَهُ النومُ وراحَ فى إغْفاءةٍ ، فسمِعَ فى منامِه منْ يقولُ له :



دعِ الْمقادير تـجْرى فى أعِنَّتِها

ولا تبيتن إلاَّ خالِىَ الْبالِ

ما بَيْنَ طرْفة عيْنٍ وانْتِباهتِها

يُغيِّرُ اللَّهُ مِنْ حالٍ إلى حالِ

ونهضَ (الكسلانُ) منْ نوْمِه ، فرأى ذلكَ الهاتفَ وقدْ تحوَّلَ
امامهُ إلى صورةِ إنْسانٍ ، وقالَ له :

- لا تخفْ يا (كسلانُ) فَقَدْ وصلَ معروفُكَ إلينا ، وجئْنا لنردَّهُ إليكَ ..

فقالَ (الكسلانُ) :

- من أنْتمْ ؟!

وأَجابهُ ذلك الشخْصُ قائلاً :

- نحنُ قومٌ من الجنِّ الْمؤْمنينَ .. أَنا أَخو الْحَيَّةِ الْبيْضاءِ ، التى قَتَلَتْ عدوَّها .. إذا كنْتَ تحتاجُ أىَّ شىءٍ قدَّمناهُ لكَ فى الْحالِ ..

فقالَ (الكسلانُ) :

- لقدْ أُصبْتُ بمصيبةٍ جسيمةٍ ، ولا أدْرى ....

فقاطعهُ ذلك الشخصُ قائلاً :

- أعْرِفُ .. لقدْ جئْتَ تبْحَثُ عنِ الْقردِ الذى تحوَّلَ إلى ماردٍ ، حتى تستردَّ منهُ ابنةَ كبيرِ التُّجارِ التى خطَفَها ، بعْدَ أنْ زالَ سحرُ الطلْسمِ ، الذى كانَ يحْميها منه ..

فقالَ (الكسلانُ) :

- صدقْتَ .. هذه هى الْحقيقةُ ..



وَقَالَ الْجِنِّىُّ :

نحنُ نساعِدُكَ بإِذنِ اللَّهِ فى قتْلِ ذلكَ الْمارِدِ واسْتعادَةِ الْفتاة ..

وصاحَ الجنىُّ صيْحَةً مُدوِّيَةً ، فحضرَ فى الْحالِ جماعَةٌ من الْجِنِّ ، فسألَهمْ عنِ الْقرْد ، فقالَ أحدُهمْ :

- إنه الآنَ فى مدينَةِ النُّحاسِ ، التى لا تطْلُعُ عليْها الشَّمْسُ أبداً ..

وقال الجنىُّ لـ (الكسلان) :

ـ سوفَ يحملُكَ أحدُ مَردَتنا إلى مدينَةِ النُّحاسِ ، ويُساعِدُكَ في تَخْليصِ الْفتاةِ من الأَسْرِ ..

وأشارَ الجنىُّ إلى أحدِ الْمردةِ ، فتقدمَ من (الكسلانِ) وحَمَلَهُ على ظهرِه ، ثم طار به فوْقَ السَّحابِ ، حتى غابا عنِ الأنْظارِ ..

وبعدَ سفَرٍ طويلٍ وصَلا أَخيراً بالْقُرب منْ مدينة النُّحاسِ ، فأَنْزلهُ الْماردُ إلى الأَرضِ ، ووجدَ (الكسلانَ) فارساً فى انْتظارِه وبعدَ أنْ رحَّبَ به الفَارسُ قالَ له :

ـ أنا أخُو الحيَّةِ التى انْقَذْتَها ، وقدْ آنَ الأَوانُ لنَرُدَّ إليكَ مَعْروفَكَ .. ارْكَبْ خلْفِى حتى نصِلَ إلى المكانِ الذى فيه الْفَتاةُ ..

وركبَ (الكسلانُ) خلفَ الجنىِّ ؛ الفارسِ ، فطارَ بهما الْجوادُ ، حتى وصلا إلى صحراءَ شاسِعَةٍ ، فقالَ له الْفارسُ :

ـ انْزِلْ من خَلْفى وسِرْ وحْدكَ ، حتى تدخُلَ بينَ هذينِ الْجَبلَيْنِ تجدْ مدينةَ النحاسِ ، ولكنْ حَذارِ أنْ تدْخُلَها ، حتى أعودَ إليكَ ..



فقالَ (الكسلانُ) :

ـ سمعًا وطاعةً يا سيدِى ..

ومشى (الكسلانُ) حتى وصلَ إلى مدينةِ النحاسِ ، وأخذَ
ورُ حولَ سُورِها ، حتى أقْبلَ الفارسُ الجنىُّ ، وأعْطاهُ سيْفًا
ليهِ طلاسمُ سحْريّةٌ ، حتى يتمكنَ بهِ منْ فتحِ بابِ المدينةِ
ونَ أنْ يراهُ أحدٌ ، وعادَ الفارسُ منْ حيثُ أتى ..

وبحثَ (الكسلانُ) عنْ بابِ الْمدينة داخلَ السورِ ، فلم يجدْ لها بابًا ، فضربَ السُّورَ بالسيفِ الْمسحورِ ، فانفتحَ فيه بابٌ فى الحالِ ، فدخلَ منهُ ، ليجدَ نفسَهُ بجوارِ قصرٍ كبيرٍ فى وسطِ الْمدينة ، فلمَّا دخلَ الْقصرَ وجدَ الْعروسَ جالسةً على سريرٍ من الذهبِ فى منتصفِ القاعةِ الرئيسيَّةِ ، وحولَها بستانٌ من أشجارِ الذهبِ ، وقدْ تدلَّتْ منها ثمارٌ من الجوهرِ كالزمردِ والياقوتِ واللؤلؤِ والْمرجانِ .. فلمَّا رأتهُ الْفتاةُ عرفتْهُ ، وقالتْ :

كيفَ وصلتَ إلى هذا المكانِ ؟!

فحكى لها (الكسلانُ) ما حدثَ من الْبدايةِ إلى النِّهايةِ ، فقالتْ له :

ـ لقدْ حكى لى ذلكَ الْماردُ الْجبَّارُ عنْ سرِّ الطَّلْسمِ ، الذى فيه هلاكه ، والْمكانِ الذى يوجدُ فيه ذلكَ الطَّلْسمُ ..

فقالَ لها (الكسلانُ) :

ـ وأينَ يوجدُ ذلكَ الطلْسمُ ؟

فأخبرتهُ الفتاةُ بالمكانِ الذى يوجدُ به الطَّلْسمُ وقالتَ له :



ـ هذا الطلسمُ عبارةٌ عن صورةِ عُقابٍ عليها طلاسمُ ، وكلُّ ما عليكَ هو أنْ تحرِيقَ ذلكَ الطلْسمِ في مجمرةٍ ، حتى نتخلصَ منْ ذلكَ الْمَاردِ الجبارِ . .

فذهبَ (الكسلانُ) إلى المْكانِ الذى فيه الطلْسمُ ، وأخْرجهُ ، ثم أحْرَقهُ في مجمرةٍ ، فتصاعَدَ دُخانٌ كثيفٌ احْمرُ ، ثُمَّ تجمَّعَ ذلكَ الدُّخانُ وظهرَ عددٌ كبيرٌ منَ الجانِ ، وتقدمَ كبيرهُمْ منَ (الكسلانِ) قائلاً :

ـ شُبَيْكَ لَبَّيْكَ يا سَيِّد (كسلان) كلُّ مَرَدةِ الْجانِ طوْعَ يَدَيْكَ ..

فقالَ لهمُ (الكسلانُ) :

ـ أَحْضِروا ذلكَ الْمارِدَ الجبارَ ، وقيِّدُوهُ بالسَّلاسلِ ،

فأَمَرهُمُ (الكسلانُ) أنْ ينْقُلوا كلَّ الْجواهِرِ والأشْياءِ العَجيبةِ ، التى فى مَدينَةِ النُّحاسِ فى مَرْكبٍ كبيرةٍ ، ثُمَّ عادَ مع عَروسِهِ فى تلكَ الْمَركَبِ إلى الْبَصْرَةِ وعاشا فى هناءٍ وثَراءٍ ..

أَمَّا الْمارِدُ الجبارُ فقدْ أدْخلوهُ فى قُمْقُمٍ ، وأَغْلقوا عليهِ بالرَّصاصِ ثم أَلْقَوْهُ فى الْبَحْرِ الغَطَّاسِ ..

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ١٨٨٧٥ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : ٩٧٧ - ٣٧٨ - ٠٠٢ - ١